أفراح عيد الميلاد المجيد

أفراح عيد الميلاد المجيد

يوسف جبرائيل

بالإدارة العامة للسكة الحديد ،

وبمراقبة عموم حسابات وإيرادات السكة الحديد ،

ووكيل تفتيش الضبط والمحاكم المركزية بمحافظة القاهرة ،

ورئيس القلم الجنائي بالنيابات ،

ومدرس الدين المسيحي بالمرقسية الاعدادية والثانوية سابقاً ،

ومدرس التاريخ الكنسي بالكلية الاكليريكية .

أقبل عام جديد ووافى عيد الميلاد المجيد لسنة ١٩٧٨ نرجو من الله أن يكون عاماً سعيداً مملوءاً بالخير والبركات ترفرف فيه على البشر أجنحة السلام فنستطيع أن نرتل مع الملائكة التي هللت لميلاد السيد المسيح وصرخت : « المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة ».

ويطيب لنا في هذه المناسبة أن ننشر بعض مقتطفات من الميمر ٣٩٥ لاهوت للقديس يوحنا ذهبي الفم عن ميلاد السيد وهو أحد مخطوطات المتحف القبطي بالقاهرة .

يوسف جبرائيل

مقتطفات من ميمر القديس

يوحنا ذهبي الفم على ميلاد ربنا يسوع المسيح (١)

... الجميع يعيّدون إذ يرون الإله في الأرض ـ المرتفع ـ نازل رأفة منه ، والهابط إرتفع إذ أحب الله البشـــر ، اليوم شبهت بيت لحم بالسماء . . . وإن كان اليهود يجحدون الميلاد عجيب . . ولقد تقوّل الكتبة مضادو الناموس وكان هيرودس ملك يطلب المولود لا ليكرمه بل ليقتله .

الملوك قد تعجبوا كيف ينزل ملك السماء إلى الأرض وليس معه ملائكة ولا رؤساء أو قوات فقد سلك طريقاً غريباً لم يسلكه غيره .

تناول اللبن كالطفل من ثدي أمه العذراء ، جاءه الأطفال ، ثم جاءوا إلى الذي صار طفلا ليجري منطق التسبيح على أفواه الأطفال والرضع . . . جاء الآدميون إلى ذلك الذي صار إنساناً أبرأ آدم من مصائبه .

جاء الرعاة إلى الراعي الصالح الذي بذل نفسه عن غنمه ، جاء المكونة إلى رئيس الكهنة على طقس ملكي صادق . . . جاء الصيادون إلى رئيس الحيـــاة ليجعل صيادي السمك صيادين للناس . جاء

(١) من مخطوطة ٢٩٠ لاهوت بالمتحف القبطي بعد تنقيحه بمعرفتنا .

المشارون إلى الذي صيّر المشار كارزاً بالإنجيل . جاءت الخاطئات إلى الذي كانت قدماه تبللهما الزانية وبدموعها غسلتهما ، جاء كل الخطاة إلى حمل الله الذي يرفع خطايا العالم .

فإذاً الكل في عيد وأنا أيضاً أريد أن احتفل بالعيد وأفرح فرحاً وأتهلل مبتهجاً بلاضرب طنبور ولا نفخ مزمار . هو فرحي وزيتي ورجائي وهو أملي وهو خلاصي . فمن أجل ذلك أبتهج لكي بقوته أقوى وأقول مع الملائكة المجد لله في الأعالي ، ومع الرعاة أقول وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة . . .

... مثل إنسان ولد من العذراء وبقيت عذراء بعد ولادتها ... بم أنطق وبماذا أعبر ... يا للأعجوبة العظيمة أن المولود وحيد قبل الدهور الذي بلا جسد ولا يُحس ولا يفتش جاء في الجسد لأن الناس إنما يصدقون ما يرون ويسمعون عنه ، وما لا يرونه لا يصدقونه ، فمن أجل ذلك احتمل المسيح سيدنا أن ينظر إليه بالجسد ليؤمن جحود الذين لا يؤمنون به وبولد من عذراء غير عارفة بالأمر لأنها كانت إناء طاهراً وبسيطاً لا تعرف إلا ما سمعته من جبرائيل الملاك إذ سألته أنى يكون لي هذا وأنا لا أعرف رجلا ، فأجابها الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك والذي يولد منك قدوس ابن العلي يدعى .

أما كيف كان معها وبعد قليل ولدته ... فكما أن الصانع الحاذق إذا صب فضة نقية جيدة عمل منها إناء جيداً كذلك المسيح وجد العذراء طاهرة الجسد والنفس واتخذها هيكلا .

هكذا شاء ولم يأنف من الطبيعة لأنها خلقة يديه، وان هذا لمجد عظيم إذ عرف الناس الخالق ...

بِمَ أنطق أو بِمَ أعبر، عتيق الأيام صار اليوم طفلا - الذي على العرش في العلو يوضع اليوم في مذود(١)، العالي الذي لا يُحس ولا يفتش يقلب اليوم بيد البشر، الذي يفك اغلال الخطايا اليوم يشد بالأقماط . حقاً انه يريد أن يبدل الهوان بالكرامة وبلبس المجد من لا مجد له ...

من أجل ذلك جاء في الجسد ... يأخذ جسدي ويعطيني من روحه ، فهو يعطي ويأخذ ليكسبني كنوز الحياة (أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له فلنسبحه ونمجده ونزيده علواً إلى الأبد) الإبصلودية .

---

(١) لا ليدلنا التواضع فحسب لكن لندرك أنه هو الذبيحة الحقيقية فارتضى أن يولد في مذود البقر في المكان الذي تؤخذ الذبائح منه، وهو الحمل الذي بلا عيب ، الذي تنبأ عنه إشعياء النبي قائلا - مثل خروف سيق إلى الذبح وكشاة صامتة أمام جازيها .

أقدم جسدي هذا ليطهره ويعطيني من روحه لكيما يخلصني. لقد تحقق ما قيل عنه ، أن العذراء ستحبل. ما كتب كان لجماعة اليهود ، أما الاقتناء فللكنيسة . تلك الجماعة أخذت اللوحين أما الكنيسة فقد إقتنت الجوهر ، تلك الجماعة صنعت الصوف أما هي فقد لبست السندس ، يهودية ولدته وأمم كثيرة قبلته، نشأ في تلك الجماعة وقبلته الكنيسة وقطفت الثمرة . فلتلك الجماعة غصن الكرمة ولنا عنقود الحق . هي عصرت العنقود فشربت الأمم كأس الشراب ، زرعت حبة القمح وحصدت الأمم من أجل الإيمان السفيل وقطفت الثمر بخشية الله وقد بقيت أشواك الكفر عند اليهود .

يا لهذا الميلاد العجيب، ليس كمثل البشر كان مولده لكن الإله صار بشراً . الأزلي أتى من العذراء .

ان الذي خلق آدم أولا من أرض عذراء خلقه من غير امرأة ، ثم خلق المرأة كما شاء . كذلك العذراء ولدته ولا تعرف رجلا كما قال الكتاب هو إنسان ومن يعرفه ، والنساء دورهن بعد آدم فآدم من غير امرأة خلق الله له امرأة ، وجاءت العذراء وولدته لتنفي عن حواء الذين الذي لزمها من آدم . جاءت حواء من غير امرأة ، فلا يفتخر آدم بمجد عظيم ان حواء كانت له

بدونها . العذراء ولدته لكي تكون الطبيعة شريكة فقد أخذ الله من آدم ضلعاً ولم ينقص من جنبه شيئاً ومن العذراء ولد ولم تفك بتوليتها .

وكما أن آدم كان تاماً وكاملا بعد أخذ الضلع منه ، كذلك العذراء بقيت صحيحة لم يبن له من غيرها هيكل ، كما أنه ليس من غير جسدها تجسد ...

إن الانسان إذا خدع صار إناء الشيطان ، من أجل ذلك اتخذه المسيح هيكلا وظهر إنساناً كاملا بلاخطية ليعتق الإنسان من ولاية إبليس ، ويفك عنه أغلال الخطية ...

وإذ صار إنساناً لم يولد مثل ميلاد الإنسان ولكن الإله صار إنساناً، ولأنه لو ولد كالبشر لظن كثير من الناس أنه باطل أما وقد ولد من عذراء ومن بعد ولادته حفظ العذراء فإن ميلاده عجيب غريب وهذه هي الأمانة العظيمة لكيما يخلصني من ذنوبي ... وله المجد دائماً أبدياً آمين .

+ + +

مطبعة الكرنك ٦٨ شارع السبع بنات ت : ٢٢٩٨٠ اسكندرية